فتنـــة

لم يكن من الخير أن تثار ، ولم يثرها أحد من المصريين ، وإنما أثارها قوم من هؤلاء الذين تغريهم المنفعة بالشر ، ويفسد عليهم التعصب كل شيء ، فلا يتحرجون من اقتراف الجرائم ، ولا يترددون فى اجتراح الآثام ماداموا يجدون فى ذلك تحقيقا لمنفعة أو إرضاء لحاجة ، أو شفاء لغل . هؤلاء الذين أقبلوا إلى هذه البلاد ضيوفا فلم يرعوا لها حركة ، ولم يحفظوا لها عهدا ، وإنما اعتدوا على أهلها جميعا سواء منهم المسلمون وغير المسلمين ، يفتنونهم فى دينهم ويصرفونهم عنه بألوان الغواية وضروب الإكراه .

هؤلاء هم الذين أثاروا الفتنة ، وقد أثاروها مرة ومرة . وقد ثبت المصريون لهم وصبروا عليهم ، وطلبوا إلى حكومتهم أن تقر الأمر فى نصابه وأن ترد هؤلاء الناس إلى حيث يجب أن يكونوا من رعاية القانون ، والخضوع للنظام . وكانت الصحف المصرية ومازالت لا تعرض لهذا الموضوع إلا محتاطة ، ولا تتكلم فيه إلا متحفظة لأنها كانت ومازالت تقدر أن إثارة العواطف الدينية خطر يجب الاحتياط فيه ، والتحفظ منه ، ولكن هؤلاء الناس مضوا فيما قصدوا إليه ، وألحوا فيما عمدوا إليه من فساد ، وقصرت الحكومة أو عجزت عن النهوض بواجبها فلم تحم دين المصريين ولا كرامتهم ولاعزتهم القومية حتى انتهى الشر إلى غايته وبلغ عدوان هؤلاء الناس أقصاه فإذا الصبيان ينصرون جهرة ، ويصرفون عن دينهم فى وضح النهار ، وإذا أحكام القضاء تعطل وتعجز الحكومة عن إنفاذها ، وإذا أوامر الحكومة تهمل وتعجز الحكومة عن أخذ هؤلاء الناس باحترامها ، وإذا ضروب الكيد للمصريين تكثر وتنتشر حتى تتناول كل شيء ، فالفتيات يسلط عليهن الحب حتى إذا تورطن فيه دفعهن إلى الردة ، وجعل لغير المسلمين سلطانا عليهن . فلما انتهى الأمر إلى هذا النكر وضج الناس من شره ، همت الحكومة بشيء من الحزم ولكنها لم تبلغ به شيئا ، فهذه مبشرة أخرى فى بورسعيد سافرت ولكنها توشك أن تعود ، وهذه مبشرة أخرى فى بورسعيد تتحدى الحكومة فتأبى أن تسلم لها الفتيات المسلمات . وهذا حكم من أحكام القضاء بالفرقة بين مسلمة ومسيحى لا تجد الحكومة إلى إنفاذه سبيلا .

كوكب الشرق فى ١٨ – ٦ – ١٩٣٣ .

وأخبار هذا كله تنشر فى الصحف مفصلة مطولة ، والناس يستكشفون فى كل يوم شرا ، ويفضحون فى كل يوم سرا ، والرسائل تبلغ الصحف كثيرة متصلة ملحة مستنهضة للهمم ، مستثيرة للعواطف مستقلة ماتبذله الصحف من جهد ، منكرة صمت الصحف الصامتة وفتور الصحف الفاترة . ونحن نلقى هذا كله صابرين متحفظين مبالغين فى الصبر والتحفظ ، لأنا مانزال نعتقد أن هذا الأمر فتنة لم يكن ينبغى أن تثار ، وإن هذه الفتنة بعد أن أثيرت يجب أن تخمد وأن يرد شرها عن الناس .

لذلك لانزال نلح على الحكومة فى أن تبحث عن نصيب آخر من الشجاعة غير هذا النصيب الذى ظفرت به فى الأسبوع الماضى فقد ظهر أن شجاعة الأسبوع الماضى لا تكفى وأن حزم الأسبوع الماضى أضعف من أن يفى بالحاجة ويبسط سلطان الحكومة ، لا أقول على المبشرين ، بل أقول على هؤلاء الفتيات المصريات اللاتى يغتصبهن المبشرون اغتصابا .

يجب أن تبحث الحكومة عن نصيب جديد من الشجاعة والحزم لعل الله أن يفتح به عليها فتشعر هؤلاء المبشرين بأنهم يقيمون فى بلد متحضر ، فيه دولة قائمة ، ولهذه الدولة نظم يجب أن تحترم وحرمات يجب أن ترعى ، وقوة يجب أن تطاع . فمن تعدى حدود هذه النظم وهذه الحرمات وهذه القوة فإن هذه الدولة قادرة على أن تأخذه بالحق فى ذلك أخذا عنيفا .

ومن الأشياء التى لا تقبل شكا ولا نزاعا أن لمصر دستورا ، فمن أنكر ذلك عاقبه القانون ، وان هذا الدستور قد أنشأ فى مصر برلمانا فمن أنكر ذلك ساقته النيابة إلى القضاء ، وأن فى هذا البرلمان شيوخا ونوابا قد رزقهم الله قوة وبأسا ، وآتاهم بسطة من العلم والجسم ، ومنحهم ألسنة تقول فتكثر القول ومنحهم أيديا لا تمتنع عن الحركة ولا تتردد فى الامتداد بالبطش أحيانا ، ومن المحقق الذى لا يقبل شكا ولا نزاعا أن هذا البرلمان قد أظهر غير مرة حرصا على الدين وغضبا للإسلام ، وطالب الحكومة غير مرة بحماية هذا الدين والذود عن الإسلام . ومن الحق الذى لاشك فيه أن من أعضاء هذا البرلمان من ثار وفار ، وقر ثم دار ، وسكن ثم طار ، وأسرف فى التبشير والانذار ، ولم يتحرج من التجنى على المسلمين واتهامهم بغير الحق وإثارة الحفائظ عليهم وإغراء العامة بهم ، ومازال بزملائه النواب حتى كان الاستجواب وكثر فيه الكلام ، واشتد فيه الخصام ، وانتصر فيه الإسلام ، وأصبح رئيس الوزراء له راعيا ، ولحوزته حاميا ، واضطربت له الأرض وزلزت زلزالها . كل هذا محقق لاشك فيه ، وكل هذا يفرض على

البرلمان اليوم حقوقا إن قصر فيها أو نكل عنها أثبت على نفسه أنه لم يكن مخلصا لله ولا للدين يوم ثار تلك الثورة ويوم هاج وماج وأثار ذلك العجاج . ومن المحقق أن فى هذا البرلمان شيخا يسميه الناس شيخ الاسلام ، وإن لم يكن للإسلام شيخ . ومن المحقق انَّ شيخ الإسلام هذا قد أظهر الغضب لله فى غير حاجة إلى هذا الغضب . وقد اتهم المسلمين بالكفر ، وأغرى بهم سلطان الدولة . وقد اعتدى على كتب المسلمين السابقين وطلب إلى الدولة مصادرتها ، وأذعنت له الدولة فصادرتها وقتا ما . فعلى هذا الشيخ الذى يغضب فى غير موضع للغضب ، ويثور فى غير داع إلى الثورة ، ويظهر الآن غيرته على الدين وذوده عنه ، وقيامه دونه أن يطالب البرلمان الذى هو عضو من أعضائه بأن يتخذ فى هذا الأمر موقفا حازما ، أشد حزما من موقف الحكومة حتى لا يقال إنه لم يغضب للإسلام يوم غضب ، وإنما غضب للسياسة ومنافعها العاجلة ، ولم يثر للإسلام يوم ثار ، وإنما ثار للمنصب والمرتب .

ومهما يكن من شىء فقد أظهرت سيرة المبشرين أن تصريح وزير الداخلية لم يصنع شيئا ، ولم يكفهم عن إثمهم ، بل أغراهم به وحببه إليهم ، فلابد إذن من أن يجد وزير الداخلية لنفسه وسيلة أخرى تجعل تصريحه قاطعا مقنعا محدثا لأثره عند المبشرين . لابد من أن يعلم البرلمان إن كان حريصا على العلم ، ومن أين يعلم المسلمون أن هذه المبشرة التى تكايد الحكومة فى بورسعيد قد أذعنت للحكومة وأسلمت إليها الفتيات ، وان حكم القضاء قد أنفذ . ولابد من أن يصبح هذا المقدار الذى تريد الوزارة أن ترصده للملاجىء والمدارس شيئا مقررا ، ومن أن يصدر القانون بإقراره قبل أن تنتهى الدورة البرلمانية ، ونحن نؤكد للوزارة والبرلمان أن أمر هذه المدارس والملاجىء أنفع للأمة وأجدى عليها من هذه المشروعات التى تعجلتها الحكومة فأصدرت لها الملايين ومئات الألوف وعشراتها . ونحن نؤكد أن قد تنتهى الدورة ولما يصبح أمر هذا الاعتماد حقيقة لا سبيل إلى الشك فيها أو الالتواء بها . ولو أنا نستطيع أن نطمئن إلى أن البرلمان سيسمع لدعوة الداعين وسيصور حقا رغبة الأمة فى الدفاع عن كرامتها والذود عن دينها لطلبنا إليه ألا ينفض حتى يصدر من القوانين ما تقتضيه حياتنا فى هذه الأيام مع هؤلاء المبشرين الذين لا تزيدهم هذه الفتنةإلا إلحاحا فى الشر وإسرافا فى الطغيان .

لو أننا نعلم أن البرلمان سيحرص حقا على أن يصور ميول الأمة ويرضى حاجاتها لطمعنا منه فى استجواب كذلك الاستجواب الذى أثير فى العام الماضى حول أكذوبة من

الأكاذيب ، وأضلولة من الأضاليل ومكيدة من هذا الكيد السياسى الذى أفسد فى مصر كل شىء .

نعم من الحق على البرلمان لنفسه ولدين الدولة ولكرامة حامى الإسلام وراعيه ، ذلك الذى يقيم الآن فى فرسايل ، من الحور على البرلمان أن لا يختم دورته هذه دون استجواب تظهر فيه الحكومة ماتريد أن تفعل وتأخذ فيه الحكومة عهدا على نفسها بالسعى الملح فى إصدار القانون الذى يمكنها من مراقبة التعليم الحر كله .

هذا الاستجواب – إن كان- يزيل عن البرلمان وصمة لا نحب أن يوصم بها ، وهى أنه لا يستجوب إلا حين لا يكون على الحكومة من الاستجواب بأس .

فليتوكل البرلمان على الله ، وليسع خطيبه الفذ وبطله المغوار إلى شيخ الأزهر حيث يقال إنه سعى فى العام الماضى ، وليكتب أو ليستكتب فيها استجوابا كذلك الاستجواب الذى كتبه أو استكتبه فى العام الماضى كما يقال ، وليخطب فيبدع فإن الموضوع خليق بالخطابة والإبداع . وهو لن يحتاج فى هذه المرة إلى من يختلق له الأكاذيب ويلفق له الأباطيل ، كما احتاج فى العام الماضى ، وسيسعى الناس إلى مجلس النواب ليسمعوه طائعين ، لا كارهين ، ومختارين لا مدفوعين ، فقد كان يقال فى العام الماضى إنهم كانوا يجذبون جذبا إلى مجلس النواب ، وكانوا يدفعون دفعا إلى مجلس النواب ليسمعوا ثم يهتفوا . وقد سمعوا وهتفوا ، ونحن نؤكد للخطيب البطل أنهم فى هذه المرة لن يترددوا فى الذهاب إلى المجلس ولن يترددوا فى الإعجاب بالمجلس والوزارة إن استطاعا أن يدفعا عنهم شر المبشرين .

أما بعد ، فلسنا نحب هزلا ، ولا نقصد إلى دعابه ، وإنما ننبه الوزارة والبرلمان إلى أن أمر المبشرين إن ترك كما هو فسينتهى بالبلاد إلى فتنة منكرة لا تصيب الذين ظلموا خاصة ولكنها تصيب الآثم والبرىء ، وإن أول واجب على الوزارة والبرلمان اللذين يحرصان على إقرار النظام وتثبيت الأمن أن يدفعا شر هذه الفتنة عن الناس ويدفعاها فى أسرع وقت .